

الفصل الثاني قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى

صفات الله تعالى كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك.

وقد دل على هذا: السمع، والعقل، والفترة.
*أما السمع: فمنه قوله تعالى: "لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [النحل:60]، والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة، فلا بد أن تكون له صفة. إما صفة كمال، وإما صفة نقص. والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة؛ ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز. فقال تعالى: "وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ" [الأحقاف:5]. وقال تعالى: "وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ" [النحل:20-21]. وقال عن إبراهيم وهو يمتنع على أبيه: "يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً" [مریم:42]، وعلى قومه "أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ* أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" [الأنبياء:66-67]

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى،
فمُعْطِي الكمال أولى به.

الشرح

* دليل السمع على أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال قوله تعالى: "لِلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [النحل: 60] ، مَثَلُ
السَّوْءِ : يعني مثل النقص والعيب؛ ولم يقل : والله مثل الكمال ، بل قال: " الْمَثَلُ الْأَعْلَى
" ، يعني: الذي لا شيء فوقه. والمثلُ بمعنى الوصف الأعلى، فكل صفة اتصف الله بها الله
تعالى فهي أعلى ماتكون من صفات الكمال.

* وأما العقل: فإذا قال قائل ما هو دليلكم على أن الله متصف بصفات الكمال قلنا أن
كل موجود حقيقة، فلا بد أن تكون له صفة. فإما أن تكون صفة كمال، وإما أن تكون
صفة نقص. صفة النقص مستحيلة في حق الله عز وجل ؛ وصفة الكمال واجبة لله ؛
فوجب أن يكون موصوفاً بصفات الكمال لأنه منزّه عن صفات النقص.
فإن قال قائل: هذا المحصر غير صواب ؛ لأن الموجود قد يكون موصوفاً بصفات
الكمال أو صفات النقص أو بصفة لا نقص فيها ولاكمال.

نقول: هذا الأخير غير صحيح ؛ لأن الصفة التي لا كمال فيها ولا نقص ؛ هي في الحقيقة
نقص ؛ لأنها لغوٌ وعبث ، فالكمال أن يكون الإنسان مُتصفاً بالصفات النافعة المفيدة وما
لا نفع فيه ولا ضرر، فهو داخلٌ في صفات النقص، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم-

حاثاً على تكميل الإيمان: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أُولِيصُمْتُ"

-والدليل الثاني من العقل : أن نقول: نحن نشاهد في المخلوق صفات كمال. والذي أعطاه هذا الكمال هو الله عزوجل- ، **فُعطي الكمال أولى بالكمال** ، ومن كماله أنه أعطى الكمال. فهذا أيضاً دليلٌ عقلي على ثبوت صفات الكمال لله عزوجل- ولهذا مما يدل- على بطلان ألوهية الأصنام أنها ناقصة؛ قوله سبحانه وتعالى "وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ" [الأحقاف:5]. وقال تعالى "وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يُخْلِقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ" [النحل:20-21]. وقال إبراهيم يُحاجُّ أباه "إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً" [مريم:42]. وقال محاجاً لقومه "قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَقَلَّ تَعْقِلُونَ" [الأنبياء:66-67].

فتبيّن بهذا أن الرب لا بد أن يكون كامل الصفات ، وإلا لم يصح أن يكون رباً.